نقاط التحول

تطور العصابات في نيكاراغوا

تعتبر العصابات إحدى التهديدات الرئيسية على الأمن في مرحلة ما بعد الحرب الباردة في أمريكا الوسطى. غير أنها تحظى غالبا بالتعاطف سواء في التقارير الإعلامية أو الدراسات الأكاديمية أو مستندات السياسة والغالبية الساحقة للمعلومات المتوفرة حول العصابات في أمريكا الوسطى غير صحيحة إلى جانب عدم التوافق في الإحصائيات الرسمية في كافة أنحاء المنطقة.

الغالبية الساحقة للمعلومات المتوفرة حول العصابات في أمريكا الوسطى غير صحيحة

يقدم هذا الفصل بحثا أساسيا متعمقا لتقديم تحليل مقارن ومفصل للمسارات التطورية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة بالنسبة للعصابات المصاحبة لاثنين من الأحياء الفقيرة في ماناغو، عاصمة نيكاراغوا. وهو مستند إلى ٣٠ مقابلة متعمقة أجراها المؤلفون مع أفراد العصابات الحاليين والسابقين خلال الفترة ما بين يونيو/ حزيران – سبتمبر/ أيلول ٢٠١٢، بالإضافة إلى البحث الاثنوغرافي الطولي المستمر الذي قاموا به في هذين الحيين منذ تسعينات القرن الماضي.

ويركز الفصل تحديدا على أنماط التحول في استخدام الأسلحة الصغيرة من قبل أفراد العصابات ويكشف الأنواع المختلفة للأسلحة المستخدمة في مختلف المراحل الزمنية والطبيعة المتغيرة للسوق السوداء للسلاح وقيام وانهيار الجماعات المسلحة وتطور علاقات العصابات – المعروفة باسم باندیلاس – مع مجتمعاتها المحلية. وقد تطورت هذه العلاقات بطرق متميزة في الحيين بسبب مجموعة من العوامل السياقية. ورغم أن المراحل الأولية لتطور العصابات متشابهة، فإن اتجاهاتها اللاحقة تنوعت بشكل كبير.

وكانت النتائج الرئيسية لهذا الفصل:

- يرتبط انتشار وتشكل العصابات في نيكاراغوا (المعروفة باسم باندیلاس Pandillas) في مرحلة ما بعد الحرب الباردة بمرحلة ما بعد حرب الكونترا في ثمانينات القرن العشرين، بما في ذلك تسريح الشباب المجندين. ونتيجة لذلك، تم مأسسة العصابات من خلال عمليات السيطرة على المناطق المحلية.
- يمكن أن تطور العصابات في مختلف الأحياء الحضرية آليات ثورية فريدة تؤثر على استخدامها للأسلحة ومستويات العنف الناتجة عنها. وتتغير هذه الآليات مع مرور الزمن بسبب العوامل الداخلية والخارجية.
- على المستوى الداخلي، فإن فردا أو اثنين يمكنهما أن يشكل فرقا جوهريا في طريقة تطور العصابة في نيكاراغوا إضافة إلى مدى عنفها، وخصوصا فيما يتعلق بامتلاك المعرفة المتخصصة بشأن استخدام السلاح.
- على المستوى الخارجي، فإن التغير في مدى توفر السلاح والذخيرة ووجود جماعات مسلحة أخرى يؤثر بشكل جوهري على استخدام الأسلحة من قبل أفراد العصابات.
- لم يتطور استخدام أفراد العصابات (البنديلاس للسلاح) بطريقة خطية، فقد ازداد استخدام السلاح بشكل مضطرد خلال تسعينات القرن الماضي ثم تراجع في العقد التالي، قبل أن يزداد مجددا في عام ٢٠١٠.
- كانت الأسلحة المصنعة أكثر شيوعا في تسعينات القرن الماضي منها في العقد التالي، عندما تزايد انتشار الأسلحة المصنوعة في المنازل، بحيث أصبحت حاليا النوع الرئيسي للأسلحة الموجودة مع العصابات.

عضو عصابة سابق يبين وشمه والندبة الناجمة عن جرح تسبب به فأس، ماناغو، يوليو/ تموز ٢٠٠٧ دنيس رودجرز ©

بشكل عام، يظهر أفراد العصابات النيكاراغوية مستوى متدنيا من التعقيد في استخدامهم للأسلحة مسخرين طرقا انتهازية أكثر منها نظامية في امتلاك السلاح. غير أن حقيقة تطوير العصابات لديناميكيات ثورية مميزة تؤثر على استخدامهم للسلاح ومستويات العنف الناجم عن ذلك تبين أن العصابات ليست مجرد انعكاسات لظروف هيكلية «شاملة»، بل أن ديناميكياتها أيضا هي نتيجة لمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية «الصغيرة».

بندقية صيد يدوية الصنع (تشمبا) خوسيه لويس روكا ©

فاستخدام أفراد العصابات للأسلحة لا يعتمد فقط على توفرها مثلا. فهناك عامل دخلي هام يتعلق بنقل المعرفة بشان استخدام الأسلحة. وفي الحيين اللذان تم البحث فيهما، فقد تم نقل المعرفة الفنية بشان السلاح في أواخر ثمانينيات القرن الماضي وأوائل تسعينات نفس القرن من قبل الشباب الذين كانوا مجندين عسكريين. وبالتالي فإن نوعا من تأثير «نقل الروايات» أدى إلى تزايد تشويه هذه المعرفة. ومع نهاية القرن، أدت هذه التطورات إلى تصاعد أعداد حوادث السلاح في كلا الحيين، وفي هذه الأثناء، تزايد أعطال الأسلحة بشكل كبير بسبب سوء الصيانة والعناية بها. وتوقفت هذه الموجة في واحد من الحيين عندما قام فرد فيها كان قد خدم في الجيش في الفترة ما بين عامي ١٩٩٧ و٢٠٠٢ بتجديد معرفة أفراد العصابات، الأمر الذي أدى بدوره إلى تحول العصابة إلى إحدى أكثر العصابات عنفا في المنطقة.

تطور العصابات ديناميكيات ثورية مميزة تؤثر على استخدامهم للسلاح ومستويات العنف الناجم عن ذلك استجابة لمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية.

وتبرز مسارات العصابتين خلال تسعينات القرن الماضي أيضا أهمية الشخصيات القيادية، وتحديدا كيفية مساهمتهم بشكل كبير في مأسسة ممارسات عنيفة معينة. وتراجعت أهمية الشخصيات القيادية خلال العقد التالي، ولكن وبدلا من أن يؤدي ذلك إلى تقليل عنف العصابات، فإن هذا التوجه جعل من الصعب التنبؤ بتصرفات عصابات البناديلاس وجعلهم أكثر ميلا إلى التلاعب بها والهيمنة عليها من قبل الجماعات الخارجية. وهذه التطورات مهمة لاستراتيجيات مكافحة العصابات القائمة على محاولات «لاجتثاث» العصابات من خلال اعتقال أو (قتل) قادتها حيث يمكن لهذه الطريقة أن تؤدي إلى عنف وعدم استقرار أكثر من الوحشية المتوقعة والمنظمة عموما للمنظمة ذات القيادة الواضحة.

يجب أن تكون التدخلات السياسية غير العنيفة مبنية على فهم نوعي عميق لديناميكيات العصابات.

على نحو مماثل، فإن التطورات المتناقضة للعصابات في الحيين تبرز كيف أن عمليات «تهدئة» العصابات- والتي تتعلق بإغلاق الأماكن التي تظهر منها العصابات- يمكن أن تحدث بطريق عنيفة أو غير عنيفة. وهذا الدرس مهم لمنطقة أمريكا الوسطى ككل، حيث سياسات مكافحة العصابات القمعية والوحشية والمعروفة عموما باسم مانو دورا Mano Dura قد فشلت فشلا ذريعا وغالبا ما زادت من عنف العصابات. غير أن أغلب التدخلات السياسية غير العنيفة تظل حبيسة السياق ويجب أن تكون مبنية على فهم نوعي عميق لديناميكيات محددة للعصابات.